

## الثورةُ عبارةٌ مقدّسةٌ، علينا احترامها

" طوبى للشام لأن ملائكة الرحمن باسطة أجنحتها عليها " حديث شريف

قبل اربعة عقود عشنا حرب تشرين المجيدة وكلنا يعرف مفاخر البداية، من أقتحام جبل الشيخ وتدمير خط دفاع العدو ألون وعبور السويس وتدمير تحصينات خط بارليف الى رفع سعر النفط من 3 الى 12 دولار للبرميل... كما أننا نعرف كيف انتهت هذه الملحمة المجيدة : قبل تفكيك خيمة العزاء على شهدائنا، كان هناك من يواسي العدو ويستعطف الصلح معه.



وكانت ردات الفعل عنيفة في البداية ثم تحوّلت الى عتب صامت فمصالحة بدأت سرية، ما لبثت أن أصبحت علنية، وهناك من اعتبر التطبيع "شطارة"... وبدأ التطبيع وتبادل الزيارات... ولا بدّ هنا من ذكر الموقف المشرف لمثلث الرحمت البابا شنودة الذي حرّم على المسيحيين زيارة بيت المقدس ، تحت طائلة الحرمان، طالما الإحتلال قائم.

واستمرّ بعض العرب على موقف الممانع، و"قلب العروبة النابض" يتعدّد ساعيا بكل جوارحه لإبقاء القضية حيّة مقدّسة، بينما عيون القوى الظلامية تبحث كيف لها أن تصيب "القلب النابض" بمقتل وتريح "ابنها المدلل" من كابوس دمشق آرام.

وانتظرت تلك القوى الظلامية طويلاً حتى بدأ ما اسموه "الربيع العربي" يجتاح دول شمال افريقيا واليمن، تضافرت جهود عربان الجاهلية وبقايا بني عثمان والمحافظين الجدد مع بني صهيون. أقاموا حلفاً "غير مقدس" و شهوذه الزور أحفاد دول سايكس - بيكو، وغايته إعادة تقسيم "الشرق الأوسط الجديد"... وشهد شاهد من أهله : قبل بضعة أيام، صرّح وزير دفاع فرنسا الأسبق، السيد رولاند دوماس، أن جهات معينة عرضت عليه قبل سنوات، المشاركة في التخطيط لتدمير سوريا... فرفض. وإذا بهم يشوّهون سمعته باتهامه بالرشوى في صفقة سلاح الى تايوان... واستمرّ التخطيط، وحين تهيأ لهؤلاء اللئام أن الوقت قد حان لـ "قطاف الرؤوس" أعطيت الأوامر ووزعت المهمات لنشر "الفوضى الخلاقة" في بلاد الشام.

### وكان الخامس عشر من آذار 2011

لكن خيبة آمالهم في معركتهم في سوريا المقدّسة حيرت جهابذتهم العسكريين والسياسيين، وقد تقهّلهم حيرتهم... وها نحن

### نعيش الخامس عشر من آذار 2014

وسوريا العزّ والكرامة، سوريا القلب النابض، سوريا الحضارة والتاريخ لا تزال شامخةً عصيّة على الأعداء...

- تونس الخضراء سقطت سريعا رغم رضى الغرب على حكم السيد زين العابدين بن علي.
- مصر الجامعة العربية سقطت رغم دعم الغرب لحكومة الرئيس حسني مبارك ثم محمد مرسي.
- ليبيا عمر المختار الأسطورة، ليبيا الرئيس معمر القذافي سقطت رغم نفظها الذي لا ينضب.
- اليمن السعيد قاوم الشرق والغرب وخاصة الشمال، ثم سقط مع رئيسه علي عبد الله صالح تحت الضغوط.
- قطر وقناة الجزيرة تعتبر بحكم الساقطة من الخريطة العربية والخليجية مع الحمديين، بالرغم من ملياراتها.

لماذا سقطت هذه الدول من التاريخ؟... لمعرفة الأسباب علينا الإنتظار ما يكتبه التاريخ... سقطت هذه الدول خلال فترات قصيرة ولم تستقرّ حتى يومنا هذا... واستمرت سوريا تقارع مجموعات متعدّدة الجنسيات والولاءات تمولّها وتسلّحها الجاهلية الخليجية مع بني عثمان تساندهم دولة أبادت الهنود الحمر مع أتباعها الغربيين مع بعض الدول التي كنّا نسمّيها : "الدول الشقيقة"... استمرت سوريا، صامدة شامخة لأن شعارها : "سوريا تفضّل الموت واقفة على الحياة راکعة، إلا لله. "

سنوات ثلاث مرّت اليمّة على سوريا الوطن، شعباً وحكومة وجيشاً. وكانت المسيرات المؤيدة والمظاهرات المعارضة... وكانت المطالبة بالإصلاح الديمقراطي والحريات وتعديل الدستور والغاء حالة الطوارئ ومحاربة الفساد والمحسوبيات. وللحقيقة والتاريخ علينا التذكير بأن الدولة اعترفت بالأفات المستشرية، على نطاق واسع، في مختلف مفاصل مؤسساتها وتعهّدت في حينه بمحاربة الفاعلين واستئصال أسباب غضبة الشعب.

في 31.3.2011 وحسب المقرّرات الموعودة منذ أوائل عهده، القى السيد رئيس الجمهورية خطاباً تضمّن قانون تجنيس الأكراد، إلغاء حالة الطوارئ، إطلاق سراح المعتقلين واعداً باصدار قانون الأحزاب ودستور جديد، وهذا ما حصل فعلاً في 26.2.2012 ودخل الدستور الجديد حيّز التنفيذ بعد عرضه على الإستفتاء الشعبي.

- لكن الشارع لم يهدأ... وارتفعت المطالب وسُمعت بعض الشعارات غير المألوفة في مدرسة الإعتدال السورية.
- وظهرت ادوات القتل والتدمير في أيدي المغرّر بهم والمرترقة الوافدين ل الجهاد المقدس، والإنتصار ل الثورة.
- وسُمعت الدعوة للفتنة حين المطالبة لبعض الشعب ب " التابوت " و للبعض الآخر ب " الطرد الى بيروت. "

حينئذ قررت الدولة القيام بواجباتها الشرعية والمشروعة دفاعاً عن مؤسساتها ومواطنيها... والدولة التي تتهرّب من هكذا مسؤولية تعتبر جبانة وخائنة، حسب العرف العام.

كانت المظاهرات المعارضة تدّعي أنها "ثورة اصلاحية سلمية" لكنها وبتاريخ 6.7.2011 ، عرفت سوريا والعالم حقيقة تلك "الثورة الإصلاحية السلمية" حين هاجم مسلحوها مخفر الشرطة المدنية في جسر الشغور وقتلوا نحو 120 عنصراً... والكل يعلم كيف نكّلوا بهم ورموهم في نهر العاصي وهم يهللون ويصرخون " الله أكبر " وكأنهم وكلاء الله على الأرض.

" هل يمكن تسمية هذه المجزرة : ثورة ؟... "

- كتب الفيلسوف الإغريقي أرسطو : " الثورة هي التغيير من دستور لآخر أو تعديل جذري ل دستور موجود. "
- حسب المعاجم وكتب اللغة "الثورة هي تغيير سريع يحطّم الاحوال القائمة ويعيد تنظيم وبناء المجتمع بناءً جذرياً."
- جاء في الميثاق المصري: "الثورة عمل تقدمي شعبي سريع يقتحم العوائق ليحقق غايات الشعب وأجياله القادمة."
- الثورة ظاهرة رائعة تعبّر عن وجدان الشعب، يَجْرّها المفكرون والجامعيون لإرساء قيم تحظى بإجماع وطني.
- المساجد والكنائس تدعو الى "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر..." والثورة تحترم بيوت العبادة هذه.
- الثورة هي من انتاج الأرض والشعب ولا يمكن أن تكون مستوردة من بلدان الجوار ومن ما وراء البحار...

" هل يمكن تسمية ما يحصل في سوريا ثورة ؟... "

والسؤال الذي يطرح نفسه : لماذا لا يمكن تسمية الأحداث الأليمة التي تعصف ب سوريا، منذ ثلاث سنوات ب 'الثورة' ؟...

- للثورة قضية وبرنامج او بيان وزاري يجمع عليه مفجّرو الثورة...  
" اسقاط الرئيس واستلام الحكم ليس ب قضية أو برنامج أو بيان وزاري "
- للثورة قيادة واحدة معترف بها، أقلّه من قبل الجامعة العربية...  
" منذ بدأت الأحداث والقيادات المتناحرة تشرق وتغيب، بقدرة المّمّول الأكثر سخاء...  
وحتى اليوم، لم تسلّم الجامعة العربية مقعد سوريا للمعارضات. "
- للثورة مرجعية واحدة وطنية تمثلها في المحافل الدولية...  
" في مؤتمر جنيف 2 وجد المحاور السوري وفداً لا يمثل كل المعارضة ولا حول ولا قوة له على المحاربين. "
- للثورة روح وقلب وضمير وتحافظ على مرافق الوطن العامة وثرواته وشعبه...  
" هل تفجير جسور سكة الحديد وقصف مصفاة البترول تحقق مطالب الشعب في الإصلاح ...?  
" هل سرقة الآثار والابواب من المتاحف والكنائس وبيعها تسقط النظام ؟...  
" هل تدمير النصب التذكارية للشعراء والفنانين من مستلزمات الثورة ؟...  
" هل خطف المطارين والراهبات وقتل رجال الدين من مكارم الأخلاق ؟... "

- للثورة مفكرّوها وفلاسفتها ومنظرّوها وكتابها...  
" أين انتم من أمة أول كلمة في " دستورها الكريم " عبارة ، إقرأ ' " إقرأ بسم ربك الذي خلق..."

" الثورة عبارة مقدّسة، علينا احترامها "

لنلقين نظرة على الثورات التي يُجمع العالم على أحقيتها في حمل هذه التسمية :

**الثورة الفرنسية :** قامت سنة 1789 بعد عقود من انتشار البحوث والدراسات الفكرية والفلسفية وتجاوبا مع الأزمة الإجتماعية كي تحطّم النظام الإقطاعي وتسقط الملكية وتعلن وثيقة حقوق الإنسان وشعارها " الحرية، المساواة، الأخوة." أما المنظرّون والفلاسفة الذين كانوا وراء تفجير هذه الثورة فهم : ديديرو، مونتسكيو، فولتير، روسو ... وغيرهم.

**الثورة الشيوعية :** قامت سنة 1917 وكانت النهاية الطبيعية للأوضاع التي كانت تعيشها الطبقات الفقيرة والمحرومون من أبناء الشعب الروسي، تحكمها النخبة الأرستقراطية الظالمة بحماية القياصرة. وقامت بقيادة لينين وتروتسكي، بعد أن كاد الشعب ينفجر... وفلاسفة ومنظرو هذه الثورة كانوا، بالدرجة الأولى، كارل ماركس، هيغل، أنجليلس... وغيرهم.

**الثورة التركية :** بعد الحرب العالمية الأولى، فرض الحلفاء المنتصرون معاهدة سيفر Traité de Sèvres بتاريخ 10.8.1920 على الأتراك بعد أن فكّكوا ممتلكات الخلافة العثمانية. فثار الشعب التركي بقيادة الجنرال مصطفى كمال باشا أتاتورك، تلميز الثورة الفرنسية، وحارب وانتصر وعدّل المعاهدة... بمساعدة نخبة من المفكرين والمنظرين وأصدر دستوراً علمانياً حيث فصل السلطة السياسية عن الخلافة ونقل العاصمة الى أنقرة وقرّر اعتماد الأبجدية اللاتينية وغرّب اللباس...

" هل يمكن تشبيه ما يحصل في سوريا ب إحدى هذه الثورات؟..."

منذ قرّرت الولايات المتحدة الحرب على الإرهاب واحتلال العراق واجتياح أفغانستان أصيبت سياستها بالتخبّط وفقدان البوصلة وعقب الموجة الأولى من الثورات العربية، لم تفلح في بناء سياسة ثابتة تجاه الثورات المتتالية... وقرارها الأسوأ كان تعويلها على قدرة «الإخوان» بتحقيق استقرار مصر متناسية تناقضاتهم الطائفية مع سائر قوى الوطن، فانهارت آمالها بعزل رئيسها محمد مرسي وإنهاء حكم الجماعة. وهذا ما دفع الرئيس السوري للتصريح : " لقد فشل الإسلام السياسي. "

بعد ثلاث سنوات من بدء الأحداث، لا يزال الغرب بأكمله وبعض العربان أتباعه، في حيرة بين الحل السياسي والحل العسكري، بينما المفروض اعتماد الشرعية الدولية، وقد خرج هذا التخبّط الى العلن في مؤتمر جنيف 2 وعلى اثره :

- الوزير جون كيري، دون أن ترفّ له عين، يلغي شرعية الرئيس السوري، بقدرة القوى الظلامية اللثيمة.
- الأمير السعودي فيصل، وبكل وقاحة، يُسقط الرئيس الشرعي ويُنصّب " فخامة" السيد الجربا رئيساً بديلاً.
- السيد نتانياهو قال للملك عبدالله الثاني : " لا تسوية إلاّ بأن تكون ملكاً على سوريا. " وكأنه عظيم كهنة الهيكل.
- يوم 4.3.2014 قرّرت أميركا منع مندوب سوريا لدى الأمم المتحدة من التجوّل أبعد من 40 كم خارج نيويورك لأن تجواله يشكل خطراً على الأمن القومي الأميركي... وا حسرتاه على اميركا، كم أصبح أمنها هشاً هزياً!...

" هل يمكن لهذا التحالف المتخبّط أن يقود ثورة ؟... "

واليوم إذ نُطفأ الشمعة الثالثة لمحنة جيشنا البطولية وصمود سوريا الأسطوري في مجابهة القوى الظلامية، املنا جميعاً ان نحمل لنا براعم ربيع السنة الرابعة تباشير صباح الأمن والأمان، كي نرى مجدداً بسمة المحبة والطمأنينة على وجوه ابناء

هذه الأرض المقدسة... وقد لاحت في الأفق بشائر نهاية النفق بالمصالحات الميدانية والتفاهات الداخلية التي نشهدها على مختلف أراضي الجمهورية، بعد أن اكتشف الشعب زيف الوعود بالسمن والعسل الموعود...

بعد لقاء السيد رئيس الجمهورية، كتب السيد ناهض حتر، يوم 6.3.2014، في جريدة الأخبار اللبنانية، وهذا بعض ما كتب :

" المواطن بشار حافظ الأسد سيترشح للرئاسة... لكنه سيخوض الانتخابات من موقع سياسي لا من من موقع سلطوي، وعلى أساس برنامج سياسي غير حزبي يتضمّن رؤية شاملة تأخذ في الاعتبار التيارات والحساسيات الوطنية المختلفة المشارب التي وقفت في خندق الجمهورية ضد التدخل الخارجي والإرهاب... يسعى السيد بشار الأسد الى برنامج يلامس قضايا الناس اليومية، وإعادة البناء، والنهج الإقتصادي الإجتماعي، ويتضمّن البرنامج كيف يمكن عدم تكرار المأساة الحالية في سوريا مستقبلاً... "

بعد مؤتمر جنيف الأخير زار موسكو السيد أحمد الجربا مطالباً بحكومة انتقالية، فكان جواب موسكو موجهاً للسيد برهان غليون : " الانتخابات الرئاسية على الأبواب، لماذا لا تترشح أنت يا سيد غليون؟ " وهو يلمح للسيد أحمد الجربا أن نتائج صناديق الإقتراع هي التي تقرّر مستقبل سوريا وليس جنيف، اسطمبول، باريس او واشنطن... وهذا لسان حال المواطن السوري السيد بشار الأسد للمعارضة :

" رشحوا من يمثلكم ودعونا نرى النتائج... وليحكم الفائز "

قد يكمن في هذا الإقتراح البسيط الحلّ المنطقي ونهاية النفق الذي نعيشه وننسى جنيف والجامعة العربية والأمم المتحدة...  
لنعيد البسمة الى هؤلاء الأطفال : أطفال سوريا



والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

لوجانو، في 15.3.2014

فؤاد عزيز قسيس